الفصل الخامس

البث التليفزيوني في العالم العربي

التحول الديمقراطي السياسي والإحياء الثقافي

محمد عايش

كان التليفزيون في العالم العربي حتى أواخر الثمانينيات عملية أرضية ذات إرسال قصير تحتكره الحكومة وكان يعمل كناطق بلسان الدولة في القضايا ذات الاهتمام الوطني أو الدولي ، ومنذ ١٩٩١ ، عندما أطلقت أول محطة تليفزيون خاصة علي الهواء في العالم العربي من استوديوهات لندن – وحتى الوقت الحالي – شهد البث التليفزيوني في العالم العربي ثورة حقيقية ليس فقط من حيث الإرسال الدولي وتنوع القنوات وجودة البرامج ولكن أيضاً من حيث الاهتمام المتزايد من قبل القطاع الخاص بعمليات البث ، وتبين إحصائيات اتحاد إذاعات الدول العربية أن ما يزيد علي ٥٠٠ قناة تليفزيونية علي الهواء متاحة للمشاهدين العرب عبر المنطقة بالإضافة إلي عشرات القنوات التي توفرها أنظمة التليفزيون الفضائية الرقمية والكابلات (ASBU/٢٠٠٧) وتبين بيانات اتحاد إذاعات الدول العربية أيضاً أن ما يزيد علي ٦٥ ٪ من القنوات التليفزيونية في منتصف عام ٢٠٠٩ كان يملكها ويشغّلها القطاع الخاص بينما احتفظت الحكومات بأعداد متباينة من الخدمات تتراوح من واحدة في موريتانيا إلي ٨ في دولة الإمارات العربية المتحدة إلي ٢٢ في مصر ، وبالنسبة لكثير من الباحثين تعكس ثورة الإذاعة في أوائل القرن الحادي والعشرين تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية ضخمة في المجال الجماهيري العربي منذ أواسط التسعينات (لينتش ٢٠٠٦ ، عايش ٢٠٠٨) ولكن كما تكشف خبراتنا التليفزيونية في العقد الماضي فإن هذه الوفرة في القنوات التليفزيونية في المنطقة يبدو أنها قد قصرت في إحداث جو ديمقراطي أو انجاز ثقافي في المجتمعات العربية ويبين هذا الفصل أن ما يطلق عليها التحولات الديمقراطية والثقافية في المنطقة كان المحرك الرئيسي لها التطورات العالمية وليس المحلية وبالتالي لم تكن من الاستمرارية بما يكفي لأن تؤثر بشكل جوهري في هياكل

وأدوار التليفزيون ، و كان ينظر إلي ظهور القطاع الخاص الإذاعي علي أنه تطور تجاري بحت لأنه ببساطة لم يواكبه ظهور هياكل سياسية حية وتعددية ومستقلة ذات وظائف متعددة.

يستعرض هذا الفصل تطور البث التليفزيوني في العالم العربي منذ أواسط الخمسينيات مع التركيز علي إسهاماته في التحولات الديمقراطية السياسية والإنجاز الثقافي في المنطقة منذ أواسط التسعينيات ولقد تطور البث التليفزيوني في العالم العربي تاريخياً في إطار أعراف تسلطية مستبدة كانت تعمل جاهدة ضد استقلاله المهني ، ولكي يحقق أصحاب حق البث التليفزيوني الحكومي أو الخاص أدوارهم المنشودة كأدوات للتنمية الثقافية والسياسية فإنهم بحاجة إلي المساندة الاجتماعية والسياسية من خلال إقرار ممارسات وهياكل ديمقراطية مستدامة.

تطورات تاريخية

يتواجد البث التليفزيوني في العالم العربي منذ ستة عقود مضت ، حيث أطلق في معظم الدول العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال مباشرة كأداة للتنمية الوطنية بيد أن تحوله الكبير حدث فقط في أوائل التسعينيات مع قدوم تكنولوجيا إعلام البث الفضائي ويحدد عايش (٢٠٠٣) ثلاثة مراحل في تطور التليفزيون : المرحلة التأسيسية والمرحلة الوطنية ومرحلة العولمة.

جدول "٧"

فئات البرامج التي تذاع علي القنوات الفضائية العربية

فئات القنوات	القطاع الخاص	القطاع العام	العدد التقريبي
برامج عامة متنوعة	٩٠	٤١	١٣١
موسيقى ومنوعات	١١٧	٢	١١٩
أفلام / دراما ومسلسلات	٥٥	٣	٥٨
رياضة	٤٠	١١	٥١
تجارية / اقتصادية / تسوق	٢٤	١	٢٥
أخبار	٢٣	٣	٢٦

أطفال	٢٠	١	٢١
ثقافية / تعليمية	١٣	١٠	٢٣
وثائقية	١٢	-	١٢
تفاعلية	١١	-	١١
دينية	١٠	٣	١٣
سياحية	٣	١	٤

المصدر : اتحاد إذاعات الدول العربية (٢٠٠٧).

المرحلة التأسيسية (١٩٥٤- ١٩٧٦)

تعود هذه المرحلة إلي أواسط الخمسينيات عندما كانت معظم الأقطار العربية إما خاضعة للحكم الأوروبي الاستعماري أو في سنواتها الأولى للاستقلال (بويد ١٩٩٩) ، وعلى الرغم من أن الحكومات العربية كانت تعتبر التليفزيون أداة فعالة في المصالحة الوطنية ورمزاً للشخصية الثقافية إلا أن الجهود الرائدة لإدخال البث التليفزيوني إلي بعض الدول العربية مثل الكويت ومراكش ولبنان والعراق والأردن – قد بادر بها لاعبون محليون لأغراض تجارية بحته (بويد ١٩٩٩).

لقد أعاقت مجموعة من العوامل البداية التجارية للتليفزيون في العالم العربي وشملت تلك العوامل الانتشار المنخفض لأجهزة الاستقبال وغياب الاستقلال الوطني والانشغال التام بالراديو باعتباره أقوى وسيلة للاتصال.

بحلول الستينيات ، يبدو أن ظهور التليفزيون كأداة قوية للاتصال قد شجع الحكومات العربية علي الدخول في هذا المجال وجعله تحت سيطرة الدولة، ويبدو أن استخدام الرئيس عبد الناصر الفعال للراديو كأداة لإعلاء ايدولوجيا القومية العربية قد دفع إلي استخدام التليفزيون كأداة للتعبئة السياسية (هيل ١٩٧٥)، و يشار إلي أن قضية سيطرة الدولة علي التليفزيون لم تكن يوماً محل نقاش في مصر في الوقت الذي كان للقطاع الخاص دور محدود في النظام الاقتصادي والاجتماعي ذي التوجه الاشتراكي ، ولكن عندما جاءت قضية تمويل عملية البث التليفزيوني لم يكن أمام الحكومة المصرية أي اختيار سوى التعاون مع هيئة الإذاعة الأمريكية لتنفيذ المشروع (بويد ١٩٩٩) ، وفي

الكويت سيطرت الحكومة الكويتية في عام ١٩٦١ علي البث التليفزيوني بالحاقة بوزارة الإعلام ، وفي مرحلة ما بعد الاستقلال وضع التليفزيون في مراكش تحت سيطرة إدارة وزارة البريد وكان تحت سيطرة مكتب رئيس الوزراء (بويد ١٩٩٩) وفي عام ١٩٦٢ أنشئ اتحاد الإذاعة والتليفزيون المغربي كجزء من وزارة الإعلام ، وفي عام ١٩٦١ بدأ التليفزيون السوداني بمساعدة من ألمانيا في حين أن تليفزيون الأردن ظهر علي الهواء كخدمة حكومية في إبريل عام ١٩٦٨.

جاءت السنوات التأسيسية في تطور التليفزيون في بعض الأقطار العربية متأخرة في عقد السبعينيات متماشياً مع تطور الدولة ، ففي دولة الإمارات العربية المتحدة أنشئ التليفزيون في أبو ظبي في عام ١٩٦٩ وفي دبي في عام ١٩٧٤ وفي الشارقة في عام ١٩٨٩ ، أما في البحرين وقطر وعمان واليمن دخل التليفزيون في عام ١٩٧٥ وعلى نسق نموذج الخدمة العامة البريطاني في الإذاعة تأسس التليفزيون في منطقة الخليج كمؤسسة تديرها الدولة ويتبع في الغالب وزارات الإعلام ، وكانت رسالة التليفزيون الواضحة في تلك الأقطار موجهة نحو خدمة أهداف التنمية الوطنية بما فيها إبراز الهوية الثقافية ، ولكن وبمجرد أن بدأت تلك الخدمات عملها علي الهواء ، قوبلت بمجموعة من التحديات تراوحت منالنقص في الهيئة المدربة و البرامج إلي إمكانيات الإنتاج و البث التليفزيوني غير الملائمة (بويد ١٩٩٩) ، ومع تدفق دخل البترول إلي الاقتصاديات الوطنية تمكنت الدول العربية من تأسيس أكثر النظم التليفزيونية تقدماً في المنطقة العربية.

إن الشعبية المتزايدة للتليفزيون كوسيلة للاتصال ، خصوصاً قدرته علي تعبئة وتعليم الجماهير العربية وضعت الحكومات في الستينيات والسبعينيات في ورطة الاضطرار إلي إدارة وسيلة إذاعية فاعلة بدون موارد بشرية وفنية ملائمة ، كما أن تسليم التليفزيون لأيدي القطاع الخاص – والذي كان بإمكانه أن يحل مشكلات الموارد – أثار عدداً من القضايا تتعلق ببث مواد حساسة سياسياً وثقافياً في مجتمعات محافظة بشكل عام ، وبينما يجادل البعض بأن التليفزيون هو أساساً وسيلة تسلية وبالتالي من غير الملائم أن يكون تحت رعاية الحكومات ، إلا أن آخرين أشادوا بالدور السياسي و الاجتماعي والثقافي للتليفزيون بحجة أن هذه الأنماط تبرر خضوعه للسيطرة الحكومية (بويد

١٩٩٩ ، دجاني ٢٠٠١ ، جارتر ١٩٩٩) ، وكان للرأي الثاني اليد العليا في العالم العربي في فترة الستينيات والسبعينيات لثلاثة أسباب ، أولاً أن حكومات ما بعد الاستقلال بالدول العربية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط وجدت أن أنظمة خدمة البث الإذاعي الشعبية الفرنسية والبريطانية تعتبر نماذج مريحة للاقتداء بها في الهياكل الإذاعية الوطنية إذ لم تألف المنطقة العربية النموذج التجاري الأمريكي في الإذاعة نظراً للتأثير الجيوسياسي الأمريكي الضئيل في المنطقة في فترة ما بعد الحرب مباشرة.

ثانياً : كانت الحكومات العربية في فترة الستينيات والسبعينيات هي اللاعب الوحيد في قيادة جهود التنمية الوطنية حيث إن إطلاق التليفزيون الذي يخضع لسيطرة الحكومة كوسيلة للتنمية الوطنية كان محل اهتمام شديد.

ثالثاً: خلق الغليان السياسي في المنطقة في منتصف الخمسينيات والستينيات أجواء عالية من التوترات بررت السيطرة الحكومية الكاملة علي نظم التليفزيون لضمان التجانس بين البرامج في العمليات الإذاعية الوطنية.

مرحلة التوسع الوطني (١٩٧٦- ١٩٩٠)

سعت الحكومات العربية لبناء قدراتها الإذاعية الوطنية من خلال تدريب كوادر وطنية في هذه الفترة ، حيث زادت من الإنتاج المحلي وضخت موارد مشتركة بين الدول العربية للإنتاج ، كما مدت الإرسال ليشمل كل الأراضي الوطنية ولقد كان لإتحاد إذاعات الدول العربية – وهو منظمة تابعة للجامعة العربية مقرها تونس – وتليفزيون الخليج – ومقره المملكة العربية السعودية دور فاعل قي تحقيق جهود تعاونية ، ففي البلاد ذات المساحة الكبيرة مثل المملكة العربية السعودية و الجزائر و السودان استخدمت الأقمار الصناعية و خطوط الميكروويف لنقل إرسال التليفزيون الأرضي إلي المناطق النائية وبالتالي تمكن المشاهدون العرب من مشاهدة ما بين قناة إلي ثلاث قنوات تليفزيونية تبعاً لمواقع الاستقبال ، وفي حالات كثيرة كان استخدام أجهزة الفيديو كاسيت رداً شعبياً رئيسياً علي "التليفزيون الحكومي "السيئ " (بويد وآخرون ١٩٨٩) ، وقد هيمنت البرامج المستوردة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ومصر علي جداول البرامج ، وكانت مصر بتراثها العريق في الإنتاج السينمائي والتي غالباً ما يشار إليها أنها هوليود العالم العربي مصدراً رئيسياً للمسلسلات الدرامية للمحطات التليفزيونية في

جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حيث كان بإمكان لمشاهدين أن يفهموا العامية المصرية.

في هذه المرحلة من التنمية الوطنية تأثر البث التليفزيوني من جراء خدمات الراديو الممتدة والتي حققت شعبية واسعة بين المجتمعات العربية.

إن ظهور نموذج البث التليفزيوني في المنطقة شجع علي استمرار الترتيبات الهيكلية والممارسات التحريرية التي بدأت في المرحلة التأسيسية ، ولم يكن لدى مؤسسات التليفزيون أي استقلال إداري أو مالي لأن تمويلها كان يأتي بصفة حصرية من الدعم الحكومي السنوي بالإضافة إلي عائد محدود من الإعلانات، لاسيما أن رؤساء الخدمات التليفزيونية كانوا يعينون من قبل قادة دولهم وكانوا مسئولين مسئولية مباشرة أمام رؤساء الوزارات أو وزراء الإعلام ، ويبدو أن هذا الوضع قد خلق العديد من المشكلات حيث حرم مؤسسات التليفزيون من البر مجة وحرية تحرير الأخبار وذلك بوضع خطوط حمراء وممارسات للرقابة الذاتية تتفق مع السياسات الإعلامية للدولة ، وتطلب هذا الأمر من قيادات الإذاعة اللجوء باستمرار إلي المسئولين الإعلاميين أو السياسيين لاستيضاح موقف الدولة عند تناول تطورات حساسة.

إن تبعية الخدمات التليفزيونية لوزراء الإعلام قد حرمت العمليات التليفزيونية أيضاً من فرص التنمية البشرية والفنية التي تواكب التغيرات المتسارعة في صناعة الإذاعة.

وفي ظل دخل إعلاني محدود أو غير موجود بجانب التمويل الحكومي وجد الكثير من الإذاعيين العرب أنفسهم متخلفين عن الركب في البنية التحتية الفنية أو معايير الكوادر المهنية ، وباعتبارهم جزءاً من البيروقراطية الإعلامية الحكومية كان رجال التليفزيون يتحركون بتوجيهات من المسئولين الحكوميين وليس بما يفضله المشاهدون ولم يؤثر هذا التوجه سلباً علي محتوى البرامج فحسب ، ولكنه دمر مصداقية التليفزيون بين المشاهدين الذين كانوا ينظرون إلي الإذاعة علي أنها مجرد آلة دعائية للنخبة الحاكمة.

يوجد الاستثناء الوحيد للاحتكار الحكومي التام للبث التليفزيوني في العالم العربي في لبنان حيث هيمن البث متعدد الأنظمة علي مرحلة التوسع الوطنية ، ففي مرحلة ما قبل الحرب الأهلية كانت هناك خدمتان تليفزيونيتان في البلد يديرها القطاع

الخاص وهما " حملة تليفزيون لبنان CTL " و "تليفزيون الشرق" التي أطلقت في عام ١٩٥٩ علي يد مجموعة من رجال الأعمال اللبنانيين بمساندة من شركة الإذاعة الأمريكية (ABC) (دجاني ٢٠٠١) ، وفي عام ١٩٧٤ وافق مجلس الوزراء اللبناني علي اتفاقية جديدة للبث الإذاعي تحاول تقوية سيطرة الحكومة علي الإذاعة حيث كانت الاتفاقية تسمح للحكومة اللبنانية بشراء وتأجير معدات البث لمحطة CTL وأن يكون لها رقيبان في المحطة لفحص البرامج وأن يكون لها برنامج حواري يذاع لمدة ساعة وأن تحصل ٦,٥ ٪ من صافي عائدات الإعلانات وقد عانت الشركتان من خسائر فادحة أثناء الحرب الأهلية (١٩٧٥- ١٩٧٦) واضطرتا لتصفية أعمالهما بعد صدور قرار جديد لمجلس الوزراء الذي أتى بشركة جديدة يكون للحكومة فيها نصيب ٥٠ ٪ ، وفي عام ١٩٧٧ ، أجاز قرار تشريعي إنشاء "تليفزيون لبنان" لكي يدير وينظم ويستغل كل محطات البث التليفزيوني وأن يتولى كل مهام الإنتاج التجاري والتليفزيوني" (دجاني ٢٠٠١) ، وبهذا العمل انضمت لبنان للدول العربية الأخرى في وضع جزء من نظام التليفزيون تحت السيطرة الحكومية.

مرحلة العولمة

في عام ١٩٩١ زادت قناة ال CNN ذات التغطية العالمية الواسعة وعي العرب بالحاجة إلي تنويع ملكية التليفزيون بالسماح بدخول اللاعبين من القطاع الخاص إلي عالم البث التليفزيوني ، وتميزت تلك المرحلة بإطلاق مركز إذاعة الشرق الأوسط MBC من استوديوهات لندن في عام ١٩٩١ كأول قناة تليفزيونية عربية يملكها القطاع الخاص ، وطبقاً لبيانات اتحاد إذاعات الدول العربية (٢٠٠٧) فإن ما يزيد علي ٤٠٠ قناة تليفزيونية أصبحت تعمل في منتصف ٢٠٠٩ ، ومعظمها مملوك لإذاعيين من القطاع الخاص ، وتتراوح هذه القنوات في تبعيتها من إذاعات أجنبية إلي محطات مملوكة للدولة إلي محطات يملكها القطاع الخاص وجميعها يسعى لمخاطبة الجماهير الناطقة باللغة العربية بلغتهم القومية. ويقدم الجزء التالي استعراضاً لمحطات البث التليفزيوني الرئيسية في المنطقة.

قناة الجزيرة الفضائية أطلقت في عام ١٩٩١ من قطر عقب توقف مشروع مشترك بين قناة BBC العربية و شبكة راديو وتليفزيون أوربيت المملوكة للملكة العربية السعودية

بعد خلاف حول إذاعة لقاء منشق سعودي مقيم في لندن ، وقد تطورت قناة الجزيرة في السنوات القليلة الماضية كجزء من شبكة الجزيرة وهي هيئة إذاعية تضم – بالإضافة إلي القناة العربية ، الجزيرة الدولية ، والجزيرة الوثائقية ، وقناة الجزيرة للأطفال ، وقناة الجزيرة مباشر ، وقنوات الجزيرة الرياضية وبالإضافة إلي ذلك ، تقوم الشبكة بتشغيل بوابة اليكترونية باللغة العربية والانجليزية تقدم نقلاً حياً ، وأخباراً ، ومعرفة وقواعد معلومات أخرى.

منذ انطلاقها قدمت "الجزيرة" نفسها علي أنها منبر للرأي و الرأي الآخر ، وقد أصبحت تلك القناة التي تمولها عائدات الإعلانات بالإضافة إلي دعم من الحكومة القطرية علامة علي التحول الكبير في وسائل الإعلام في العالم العربي بما تقدمه من برامج حوارية ناقدة وتغطية حية للأحداث الإقليمية والدولية ، ولقد أدت التقارير الناقدة للقناة عن الشئون المحلية السياسية والدينية في العديد من الدول العربية إلي سلسلة من الأحداث بالإضافة إلي إغلاق بعض مكاتبها في الخارج (دا لاج ٢٠٠٥/٥٦) ، كما ولد تناول القناة الجرئ للقضايا والتطورات السياسية شكوكاً حول أدائها الصحفي حتى داخل إدارة بوش التي طلت في مناسبات عديدة من منسوبيها تحاشي هذه القناة علي أساس تقاريرها المعارضة للولايات المتحدة أثناء الحرب علي العراق (هدسون ٢٠٠٦). وبغض النظر عن الجدال الدائر حول الظروف التي أدت إلي ظهور "الجزيرة" أو الأفكار التآمرية عن صلاتها بقوى وجماعات دولية وإقليمية إلا أنه ليس هناك مجال للجدل في أن "الجزيرة" قد أحدثت تحولاً هائلاً في مناخ الإعلام العربي الذي عانى طويلاً من الركود. ويبين لينتش (٢٠٠٤ ، ٢٠٠٦) أن الجزيرة قدمت نفسها كبديل للتليفزيون الذي تديره الحكومة حيث توفر منتدى للرؤى السياسية التي لا تحظى بقبول إيجابي من قبل الإعلام الذي تسيطر عليه الحكومات في العالم العربي ، وذكر مثالاً علي ذلك الصحفي المصري المرموق محمد حسنين هيكل الذي منع علي الفور من الظهور علي شاشة التليفزيون المصري بعد تعرضه لموضوع شديد الحساسية المتعلق بتطلعات جمال مبارك في أن يخلف والده كرئيس لمصر ، ورداً علي هذا المنع وقع هيكل اتفاقاً مع "الجزيرة "يتم بمقتضاه إذاعة حلقة أسبوعية بعنوان مع هيكل : خبرة حياة ، حيث خصص أول حلقة من البرنامج للكشف عن جهود الحكومة المصرية

لإسكاته ، ومن وجهة نظر لينتش تبين خبرة هيكل المحنك - ومن خلال طرح سيطرة الدولة علي النقاش العام – كيف أن التليفزيون الفضائي العربي يضع حالياً أساساً لثقافة سياسية عربية أكثر ديمقراطية (لينتش ٢٠٠٤).

لقد جذبت قناة الجزيرة الفضائية عدداً كبيراً من الأبحاث عن كيفية إسهام هذه القناة في تحويل البيئة الإعلامية التي تسيطر عليها الدولة بصفة تقليدية ، ويبين مايلز (٢٠٠٣) أنه نتيجة لتعرض الجزيرة بالنقد لكثير من الحكومات العربية أصبح يشير إليها بعض المراقبين علي أنها حزب سياسي افتراضي ، ولكنه يلفت النظر إلي أن الإعلام لا يمكن أن يعوض النقص في تنظيم المجتمع المدني أو ضعف المعارضة الحالية ، وثمة كتاب آخر من تأليف زياني (٢٠٠٥) اتخذ موقفاً أكثر انتقاداً للجزيرة مع اعترافه بإسهاماتها المؤثرة في محيط الإعلام العربي ، ويوضح زياني أنه علي الرغم من تاريخها القصير نسبياً فإن هذه الشبكة الإخبارية التي تنطلق من قطر يبدو أنها تركت علامة بارزة في العالم العربي غيرت وجه الإعلام العربي الضيق – علي الرغم أنها ينظر إليها علي أنها قناة مضادة للأيديولوجيات الغربية ، وفي كتاب صدر منذ فترة عن قناة الجزيرة تحدث النووي واسكندر (٢٠٠٢بلغة شاعرية عن توجهات القناة المؤيد للديمقراطية في المنطقة العربية ودورها في تقليص رقابة الدولة العربية التقليدية علي الإعلام وذلك بتقديم رؤى بديلة في قضايا تتعلق بالسياسة والدين وجوانب أخرى ثقافية حساسة تتعلق بالمجتمعات العربية المعاصرة ، ويذكر سيب (٢٠٠٩) أن الجزيرة برزت كصوت يدعو لديمقراطية في الشرق الأوسط ولكن تعطل دورها المدني بفعل الحقائق الإقليمية والدولية المعقدة في عصر ما بعد أحداث ١١ سبتمبر .

قناة العربية وهي قناة تعمل علي مدار ٢٤ ساعة وأطلقت من دبي في يناير ٢٠٠٣ عشية الغزو الأمريكي الإنجليزي للعراق ويقف وراء هذه القناة كل من MBC و مجموعة الحريري ومستثمرون آخرون من المملكة العربية السعودية والكويت ودول خليجية أخرى (صقر ٢٠٠٦) وقد ارتقت " العربية " مرتقي عالياً في السنوات الثلاثة الماضية في سياق تغطيتها للصراع في العراق حيث كانت تميل بشكل كبير إلي الترويج للتطورات السياسية الجديدة في ذلك البلد وقد انتشرت آراء – عشية إطلاق القناة – بأن المقصود منها هو إحداث توازن مضاد مع الشعبية المتزايدة لقناة الجزيرة باعتبارها منبراً

إعلامياً يوجه انتقاداته للملكة العربية السعودية ، وأثناء موسم حج عام ٢٠٠٦ نفذت العربية تغطية حية علي الهواء لتناول السلطات السعودية للحادث الذي راح ضحيته ما يزيد علي ٣٠٠ حاجاً،أما الجزيرة فقد منعت طبقاً للقانون السعودي من تغطية الحج للعام الثالث علي التوالي ، وبسبب عدم وجود مراسلين لها في مكة لنقل الحادث المأساوي استعانت الجزيرة بفيديو مأخوذ عن التليفزيون السعودي مصحوباً بآراء وملاحظات الحجاج الذين شهدوا الحادث ، ولقد جعلت تكنولوجيا الأقمار الصناعية والتليفونات من المستحيل علي السلطات السعودية أن تمنع تغطية كارثة الحج من قبل القنوات الممنوعة من العمل علي الأراضي السعودية ، ولقد بين لينتش (٢٠٠٤) أن العربية قدمت منذ إطلاقها في أوائل عام ٢٠٠٣ منبراً للمصلحين اللبراليين بنبرة فيها قدر كبير من التحفظ والحساسية تجاه مصالح الدول العربية الكبرى.

مركز إذاعة الشرق الأوسط (MBC) وهي قناة أطلقت من لندن في عام ١٩٩١ كأول قناة تليفزيونية علي النمط الغربي تبث إرسالها إلي الجماهير العربية ، وقد قوبل إطلاق القناة بصخب شديد عبر المنطقة ، ويرى الباحثون أنها أكثر احترافاً في عرض برامجها من برامج التليفزيون المملوك لدولة (عايش ١٩٩٧) وفي عام ٢٠٠٢ نقلت MBC عملياتها إلي مدينة دبي الإعلامية قبل أن تتحول إلي خدمة تليفزيونية متعددة القنوات تقدم الأخبار ، والدراما العربية والغربية وبرامج الأطفال وبالإضافة إلي MBC1 التي تقدم تسلية عربية وأخبار يوجد لدى الشبكة MBC2 (للدراما الغربية) و MBC3 لبرامج الأطفال ، و MBC4 (برامج حوارية غربية خفيفة) و MBC أكشن (لأفلام الحركة بهوليود) و MBC الفارسية (لعرض الأفلام والبرامج الحوارية الغربية باللغة الفارسية).

التليفزيون الجديد (NTV) ، وهي قناة أطلقت في لبنان في أكتوبر ٢٠٠١ كقناة منوعات مع التركيز علي الأخبار والشئون الجارية ، وشعار القناة هو " نحترم الجمهور والجمهور يحترمنا" ، ومنذ إطلاقها دخلت NTV في جدليات متتالية ، وفي ديسمبر عام ٢٠٠٣ قبضت السلطات اللبنانية علي مالك القناة تحسين خياط بتهمة إقامة صلات بإسرائيل وقبل ذلك أوقف بث القناة لأيام قليلة بعد إذاعة برنامج ينتقد المملكة العربية السعودية ، وأخذت نبرة NTV الحادة الناقدة لسوريا تزداد مع انسحاب القوات

السورية من لبنان عقب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري في منتصف فبراير ٢٠٠٥.

تليفزيون المنار : وهي قناة أطلقت في لبنان ي عام ١٩٩٩ كذراع إعلامي لحزب الله اللبناني ويشار إلي أن هدف القناة المعلن هو "الحفاظ علي القيم الإسلامية والارتقاء بالدور المتحضر للمجتمع العربي والإسلامي ، وتلعب القناة دوراً مهماً في صراع حزب الله مع إسرائيل ، وتتكون عروضها البرامجية من الأخبار والأحداث الجارية والبرامج الحوارية والمقتطفات الثقافية والدينية والدراما التاريخية ، وتنتشر "المنار" عبر شبكة من الكابلات في أوروبا وأمريكا الشمالية وفي مارس ٢٠٠٦ منعت المنار من قبل شبكات الكابلات المحلية في الولايات المتحدة بتهم تغذية المشاعر المضادة لإسرائيل ، وأثناء الحرب الإسرائيلية علي لبنان في عام٢٠٠٦ قصفت استوديوهات "المنار" ولكن استمر إرسالها من خلال حيل سرية تحت الأرض.

تليفزيون المستقبل : وهي قناة أطلقت في ١٥ فبراير عام ١٩٩٣ لتقديم برامج ذات طابع أسري غربية الأطوار تعتمد خليطاً من أنماط الحياة الأوروبية والعربية ، وفي عام ١٩٩٦ وتماشياً مع القانون اللبناني الجديد للسمعيات والبصريات قام التليفزيون بإعادة هيكلة ملكيته ليضم حوالي ٩٠ مساهماً بالإضافة إلي رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري الذي لا تزال أسرته المالك الرئيسي لهذه القناة ، ومنذ اغتيال الحريري في فبراير ٢٠٠٥ وأسرته مشغولة بمحاولة الكشف عن الجناة حيث تقدم تغطية مكثفة موجهة إلي تورط سوريا المشبوه في هذا العمل الإجرامي.

قناة الحرة : وهي شبكة تليفزيونية فضائية ناطقة باللغة العربية وليس لها طابع تجاري موجهة للشرق الأوسط ومخصصة بشكل أساسي للأخبار والمعلومات ، وبالإضافة إلي تقديم الأخبار عن الأحداث الإقليمية والدولية تقدم القناة برامج حوارية ، ومجلات تتعلق بالأحداث الجارية وتتناول جملة من الموضوعات تشمل الصحة واللياقة الشخصية والترفيه والرياضة والموضة والعلوم والتكنولوجيا ، وتكرس القناة نفسها لتقديم الأخبار الدقيقة المتوازنة والشاملة ، وتسعى الحرة إلي توسيع مدارك المشاهدين وذلك بمساعدتهم علي اتخاذ قرارات مدروسة بشكل أفضل ويقوم علي تشغيل هذه القناة شبكة إذاعات الشرق الأوسط MBN التي يمولها الشعب الأمريكي من خلال

الكونجرس و تتلقي هذا التمويل من مجلس محافظي الإذاعة (BBG) ، وهو وكالة فيدرالية مستقلة حرة ، وتعمل ال BBG علي حماية استقلال وسلامة الهيئات الإذاعية.

قناة BBC العربية : وهي قناة أطلقت في أوائل عام ٢٠٠٨ وقد تحولت إلي خدمة تليفزيونية علي مدار ٢٤ ساعة وتقدم سلسلة من الأخبار والبرامج الوثائقية التي تغطي المنطقة والعالم واعتماداً علي خبرة تليفزيون BBC العالمية فإن BBC العربية تركز اهتمامها بجماهير الطبقة المتوسط المتعلمة.

التأثير علي أنظمة التليفزيون التي تديرها الدولة

هبت رياح التغير علي المنطقة العربية بحلول أواسط الثمانينيات نتيجة للتطورات الإقليمية والدولية التي تضمنت زيادة في معدلات التعليم والتحضر والخصخصة، و قد عملت حرب الخليج عام ١٩٩١ والتي أسهمت في الإسراع من هذه التحولات كمحفز للمزيد من الإصلاحات السياسية وبرامج الخصخصة وانتشار تكنولوجيا الاتصالات (العمران ١٩٩٦) ويبدو أن هذه العوامل الثلاث والتي نمت بفعل الاتجاهات الدولية الأوسع أن لها تأثيراً كبيراً علي المشهد الإذاعي العربي فقد أسهمت في الحد من سيطرة الدولة علي الإذاعة وإلغاء بعض الأجهزة الإعلامية التنظيمية ومنح المزيد من الفرص للرؤى السياسية المتباينة للبث علي الهواء مباشرة والمساعدة علي التواصل مع الجماهير الأجنبية خارج الحدود الوطنية والسماح بالمزيد من الإعلانات علي التليفزيون الحكومي وقد ساعدت هذه الظروف علي خلق اتجاهات إيجابية لدى كل من الحكومات العربية والقطاع الخاص بشأن إطلاق قنوات تليفزيونية تجارية بجانب الخدمات التي تسيطر عليها الحكومة (عايش ٢٠٠٢).

لقد كان التوسع التليفزيوني علي المستوى الإقليمي والدولي علامة بارزة لفترة التسعينيات في المنطقة ، ويبين بوخنوفة (٢٠٠١) أن قطاع السمعيات والبصريات في العالم العربي قد تطور خارج الحدود الوطنية عند تغطيته للساحات المحلية لأن السياسات الوطنية الخاصة بالسمعيات والبصريات قاصرة حيث يوجد انفتاح ضئيل علي القوى الداخلية بالإضافة غلي غياب الأطر التنظيمية المركزية، كما أن النموذج التقليدي للنظام التليفزيوني الوطني والذي يتسم بخدماته التي تسيطر عليها

الحكومة وتقوم بتشغيلها – قد بدأ يتعرض لضربات قوية منذ أوائل التسعينيات في وجه الضغوط التكنولوجية والسياسية الدولية ، ومن أبرز مظاهر هذا التحول إنشاء "نظام تليفزيوني مختلط" وإعادة هيكلة المؤسسات التليفزيونية إلي مؤسسات حرة مالياً وتحريرياً وإدارياً وإطلاق موجات عبر الأثير تتسع لأطياف واسعة من الآراء ، ولقد انبثقت هذه الاتجاهات من تطورات دولية أوسع مرتبطة بالوضع المتغير لتليفزيون الخدمة العامة حول العالم ، ويبين أكيل وميج (١٩٩٤) أن الخدمة التليفزيونية العامة في أوروبا الغربية كان عليها أن تواجه منذ منتصف الثمانينيات منافسة من قنوات تليفزيونية تجارية جديدة، و يبين الكاتبان أيضاً أن الأزمة المالية الناجمة زادت من حدتها عدم قدرة الدول علي جذب المزيد من العائدات من ميزانيات وطنية مرهَقة، كما فرضت القيود المالية نوعاً من إعادة التوجيه الإستراتيجي بشأن القنوات الحكومية مما أدى إلي إعادة هيكلة للموارد التنظيمية الخاصة بها.

ويبين كارثيجسو (١٩٩٤/٢٠) أن التغير في مشهد الإذاعات الآسيوية سببه أزمة الهوية في برامج التليفزيون الحكومي ويبدو أن هذه الأزمة قد تفاقمت بسبب إدخال تكنولوجيا إعلامية جديدة وتبعية التليفزيون لاعتبارات السياسة الصناعية وتطبيق مبادئ اللبرالية الاقتصادية والسياسية علي الإذاعة بالإضافة إلي ارتفاع تكاليف الإنتاج بما يفوق القدرات المالية لمؤسسات الخدمات الإذاعية الحكومية.

إن إعادة هيكلة مؤسسات التليفزيون في العديد من الدول العربية في فترة التسعينيات أدى إلي خلق كيانات أكثر حرية كما هو واضح في الأردن والبحرين ودولة الإمارات العربية وسوريا وقطر والكويت ولبنان ، ففي عام ١٩٨٥ تم دمج إذاعة الأردن مع تليفزيون الأردن في هيئة واحدة ، وفي أوائل ٢٠٠١ اتحدت ثلاث قنوات في قناة واحدة توفيراً للموارد (الأستوديو الرقمي ٢٠٠١ أ /٦) وبعد ذلك بستة أشهر ذكر التليفزيون الأردني أن قناته الرئيسية تعد ناجحة بمقاييس المنافسة التليفزيونية في المنطقة (الأستوديو الرقمي ٢٠٠١ ب/٨) وفي الإمارات العربية المتحدة أنشئت هيئة إعلام الإمارات في عام ١٩٩٩ كمظلة تضم العديد من أنشطة الإذاعة والإعلام المكتوب والتي تشمل قناة أبو ظبي الفضائية ذات الشهرة العالية وقناة الإمارات الفضائية ، وفي عام ٢٠٠٥أنشئت هيئة إعلام

دبي كجزء من التدابير التي اتخذت لإعادة هيكلة الإعلام المحلي ، وقد اتخذت هذه الخطوات لرفع الأداء ومواجهة تكاليف الإنتاج التليفزيوني العالية.

إن إدخال الفضائيات إلي الشرق الأوسط في أوائل التسعينيات قد وفر للمشاهدين مواد تليفزيونية متنوعة ، ففي فترة ما قبل التسعينيات كان البث التليفزيوني الأرضي الذي يغطي الأراضي الوطنية ومناطق أخرى – هو العلامة الوحيدة في المشهد الإذاعي ، أما انتشار معدات استقبال الفضائيات وأنظمة الكابلات فقد زاد من خيارات الجماهير في اختيار برامج من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ، وطبقاً لبيانات عام ٢٠٠٠ ، كان المشاهدون العرب قادرين علي استقبال ما يربو علي ٢٠٠ قناة تليفزيونية حول العالم (لبيب ٢٠٠٠) ، كما وفر إطلاق أقمار صناعية إقليمية مثل عربسات ونايلسات وهوت بيرد والثريا أمام المؤسسات الإذاعية الحكومية والخاصة منافذ جديدة للوصول إلي الجماهير في جميع أرجاء العالم العربي ومن ناحية أخرى ، عملت أقمار صناعية دولية مثل يوتيلسات وبانامسات و آسيا سات – كمنابر للشبكات التليفزيونية الدولية التي تستهدف الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، وتعتبر شبكة "راديو وتليفزيون العرب ART وشبكة راديو وتليفزيون ORBIT مثالين علي المؤسسات الإذاعية الرقمية الموجهة إلي المشاهدين في المنطقة العربية وحول العالم بما لهما من برامج مشفرة.

الإسهام في التحول الديمقراطي والإحياء الثقافي

في فبراير ٢٠٠٨ تبني وزراء الإعلام العرب ميثاقاً لتليفزيون الفضائيات بغية السيطرة علي عمليات البث وتنظيمها وذلك بجعلها أكثر تماشياً مع سياسة الدولة وتوجيهاتها ، وكان الميثاق ينص علي اتخاذ إجراءات قانونية ضد القنوات التليفزيونية التي تعرض مواداً فيها إهانة للرموز الدينية أو القادة السياسيين أو التي تقدم برامج تتعارض مع التراث والثقافة الوطنيين – مما أدى إلي ردود فعل غاضبة من قبل المؤسسات الإذاعية الخاصة ومنظمات حقوق الإنسان، ويركز الميثاق علي حالة القلق المتزايد بين الحكومات في المنطقة بشأن التأثيرات المحتملة للقنوات الفضائية علي المجتمعات العربية في عصر العولمة ، ويعتري الحكومات قدر كبير من عدم الارتياح تجاه القنوات التي تتعدي الحدود والتي تتناول قضايا سياسية وثقافية ترى أنها تمثل خطراً علي التماسك الاجتماعي والأمن الوطني.

لم تؤد الطبيعة غير الملزمة للميثاق إلي انتشار تطبيقه ، ففي سياق المجال الجماهيري المتطور ، يقدم التليفزيون الفضائي نفسه علي أنه الساحة الموعودة للمناقشات العامة في السياسة والدين وقضايا أخرى، فالبرامج الحوارية علي قناة الجزيرة مثل "الاتجاه المعاكس" ، و"أكثر من رأي" و"بلا حدود" قدمت للجماهير العربية قدراً كبيراً من الرؤى ووجهات النظر حول القضايا والأحداث التي تؤثر علي حياتهم ، كما تقدم "العربية" و "المستقلة" و "أبو ظبي" و "دبي" و " New TV " لقاءات جريئة مع شخصيات مثيرة للجدل ورموز سياسية ،يشار إلي أن المحرك الرئيسي لهذه القنوات هو الرؤى السياسية المتباينة المرتبطة بلاعبين مختلفين ، ويعتقد أن التوترات التي تجرى بين آن وآخر بين السعودية وقطر كانت وراء إطلاق قناة الجزيرة في عام ١٩٩٦وذلك لمواجهة الإعلام التابع للملكة العربية السعودية (صقر، ٢٠٠٦)، وفي يناير ٢٠٠٣ أطلقت قناة العربية الفضائية من المدينة الإعلامية بدبي لكي تضع بين يدي المشاهد العربي الرؤى البديلة بشأن الصراع في العراق ، وحرب الولايات المتحدة علي الإرهاب ، والإصلاحات السياسية في المنطقة ، وأطلقت بعض الحكومات غير العربية عدداً من القنوات الفضائية كجزء من المنافسة السياسية الدائرة في المنطقة ، والأمثلة علي ذلك تشمل "قناة الحرة" الأمريكية و"قناة العالم" الإيرانية ، و "فرنسا ٢٤" و "روسيا اليوم" وقناة BBC العربية" التي أطلقت في أواخر ٢٠٠٧.

إن انتشار القنوات الفضائية في المنطقة العربية قد أعطاها نصيب الأسد في المجال الجماهيري إذ تبين إحصائيات اتحاد إذاعات الدول العربية (٢٠٠٧) أنه توجد ٤٧ مؤسسة بث تليفزيوني في العالم العربي والتي شملت ٢٠ حكومة و ٢٧ مؤسسة خاصة تقوم بتشغيل ٧٥ قناة منوعات ، ٦٥ قناة متخصصة موزعة كالتالي : الأطفال (٦) الرياضة (٦) ، الأخبار (١٢) ، والدراما (١٢) والموسيقى (١١) ، والوثائقية (٥) ، والشئون الثقافية (١٣) ، وهناك ٧٨ قناة يمكن مشاهدتها مجاناً علي الهواء في حين توجد ٥٩ قناة تتطلب اشتراكات (اتحاد إذاعات الدول العربية ٢٠٠٧) واللغة العربية هي لغة ٨١ قناة ، في حين تستخدم اللغة الإنجليزية ٤٠ قناة واللغة الفرنسية ١١ قناة ، وترقى البرامج العربية المستوردة إلي ٧٠ ٪ في حين تصل البرامج الأجنبية إلي ٦٠ ٪ ، ويتراوح الإنتاج المحلي من ٣٠ ٪ إلي ١٠٠ ٪ ، وفي أوائل ٢٠٠٧ كان يوجد ما يزيد عي ٣٠٠ قناة فضائية تبث برامج

إخبارية وترفيه مختلفة ومتاحة للمشاهدين في ربوع المنطقة ، ولا تبدو هذه الأرقام مؤثرة في عالم عربي يبلغ عدد سكانه ما يزيد علي ٣٠٠ مليون نسم ، ولكنها تمثل منبراً متنوعاً للأخبار والآراء بالمقارنة بالإعلام المكتوب التقليدي،و أصبح للجزيرة ببرامجها ذات النسق العربي تأثير واضح علي القنوات الفضائية الأخرى في جميع أنحاء المنطقة مثل LBC و المستقبل من لبنان ، و"أبو ظبي" و "دبي" من دولة الإمارات العربية المتحدة و MBC المملوكة للملكة العربية السعودية و قناة النيل والفضائيات المصرية بالإضافة إلي قنوات أخرى (عايش ٢٠٠٣) وتتميز بعض القنوات الفضائية بنوع من التفاعل مع المشاهدين في جميع أرجاء العام العربي كما هو واضح في المشاركة الجماهيرية في البرامج الحية علي الهواء. والجزء التالي يقوم بمسح للمؤسسات التليفزيونية الفضائية الرئيسية في العالم العربي.

التليفزيون و الإصلاحات السياسية

لقد أوضح عايش (٢٠٠٢) أن قدوم القنوات الفضائية ذات النسق الغربي في العالم العربي قد جلب معه رؤى جديدة في الصحافة تشجع التحقيقات الجريئة والناقدة من أجل رأى عام مستنير ،وكما ذكرنا سابقا ،فإن قناة "الجزيرة " ومقرها قطر قادت الخدمات التليفزيونية في المناقشات الناقدة للقضايا والتطورات في المنطقة من خلال سلسلة برامجها الحوارية الحية علي الهواء ،ويشار إلي أن أحد هذه البرامج وهو "الاتجاه المعاكس" وهو برنامج حواري أسبوعي يعتمد علي المواجهة السياسية الساخنة قد خلق العديد من المشكلات الدبلوماسية بين قطر والدول الأخرى المستهدفة من البرنامج،وبجانب برامج حوارية أخرى تقدمها قناة "الحرة" و"العربية" وال"BBC " العربية فإن البرامج السياسية التي تبثها القنوات الخاصة في المنطقة قد أسهمت في بناء وعي مدني بين الشعوب العربية ،حيث كانت حقوق الإنسان السياسية والديمقراطية والاعتدال الديني والحوار مع الآخر،والتعايش السلمي والحرية والكرامة الإنسانية - كانت الموضوعات التي تغطيها تلك البرامج بصفة دائمة ، وعلي الرغم من أن هذه البرامج تسمح للمواطنين العاديين والأصوات المنشقة أن يسمع لها في المجال الجماهيري إلا أن دور التليفزيون في السياسة نادراً ما يتعدى التربية المدنية فقد أصبح الناس أكثر وعياً بديناميكيات التطورات الوطنية والإقليمية والدولية السياسية والتي

لها تأثير علي حياتهم ولكن يصيبهم العجز عندما يتعلق الأمر بإجراءات ملموسة للإصلاح.

إن الدور السياسي المعروف للفضائيات الرائدة مثل "الجزيرة" و"العربية" و"الحوار" و"BBC العربية" و"NEW TV" ، قد جعل كثيراً من الباحثين يصفون هذه القنوات بقوي التحول الديمقراطي في المنطقة ، فقد جذبت قناة الجزيرة – ومقرها قطر – قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين في ضوء تغطيتها للتطورات العسكرية والسياسية مثل هجمات الحادي عشر من سبتمبر ، والحرب في أفغانستان ، وغزو الولايات المتحدة للعراق ، والهجوم الإسرائيلي علي لبنان عام ٢٠٠٦ ، والحرب في الصومال ، و الهجوم الإسرائيلي علي قطاع غزة في أوائل ٢٠٠٩، و يلاحظ أن الأبحاث التي أجريت علي "الجزيرة" قد ولدت الكثير من الرؤى بشأن إسهام القناة في خلق واستدامة رأي عام عربي تجاه تلك التطورات ، وفي حين صور بعض الباحثين تناول الجزيرة لتلك القضايا علي أنه انعكاس للصحافة التعددية الأصلية التي تسهم في بناء وعي مدني حقيقي في العالم العربي (سيب ٢٠٠٩) ، إلا أن آخرين أمثال لينتش (٢٠٠٦) والنواوي واسكندر (٢٠٠٢) وآخرين قد صوروا القناة علي أنها لا تزيد عن كونها ناطقة بلسان الراديكالية العربية والإسلامية ، أما العربية – من الناحية الأخرى - فيرى باحثون أنها تتخذ منحى أقل حساسية وحدة تجاه التطورات السياسية بما يتفق مع خطها الإعلامي المعتدل ، وعندما يصل الأمر إلي القنوات الأجنبية مثل "الحرة" و تليفزيون BBC العربية ، فقد قام الباحثون بتحليل القناتين في إطار الأعراف الدبلوماسية العامة عندما ينظر إلي المنافذ الإعلامية علي أنها يجب أن تتفق مع أهداف السياسة الخارجية.

بعيداً عن الأبحاث التي تركز علي القنوات الفضائية ، تمت محاولات قليلة للتحقق من تأثير التليفزيون علي الرأي العام في المنطقة ، والمشكلة بالطبع تتعلق في الأساس بالأسلوب حيث تكشف صعوبة قيام علاقة سببية بين المحتوى التليفزيوني والتطورات السياسية ، وقد تم القيام بعدد كبير من عمليات قياس الرأي العام في المنطقة من قبل وكالات وطنية ودولية متخصصة للتعرف علي مدى إدراك التطورات السياسية والاجتماعية الرئيسية ، ولكن لم يحاول أي منها دراسة كيفية تشكيل المدارك العامة

من جراء تعرضها للإعلام ، ويبدو أن الحقيقة بأن العديد من المتغيرات مثل وسائل الإعلام المختلفة والأعراف الاجتماعية والأطر القانونية لها تأثير علي قيم واتجاهات الجماهير – يبدو أنها أضافت المزيد من التعقيد علي مناقشة التليفزيون السياسي في العالم العربي ، وقد أظهرت الدراسات أن قناة مثل "الجزيرة" تتمتع بقدر هائل من الشعبية في المنطقة خصوصاً في أوقات الأزمات ولكن هذه الدراسات لا تخبرنا بشكل جيد عن كيفية تغلغل هذه الشعبية في الاتجاهات السياسية وسلوكيات الجماهير العربية ، وللأسف فإن هذه الفجوة قد أفسحت المجال أمام التصورات السياسية عن الكيفية التي تشكل بها تلك القنوات الرأي العام ، وأحد هذه التصورات يتعلق بالكيفية التي تسهم بها "الجزيرة" في إبعاد الشعوب العربية عن قياداتهم السياسية الذين تقدمهم القناة علي أنهم متسلطون وغير ديمقراطيين ، وتصور آخر يتعلق بالكيفية التي تقوي بها "الجزيرة" الإحساس بالتحرر من وهم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بإلقاء الضوء علي دعمها لإسرائيل وما يطلق عليه الدول العربية المعتدلة.

التليفزيون والثقافة

يبدو أن التليفزيون قد فشل في تحقيق تقدم ملموس علي الجهة الثقافية مثلما أصابه ارتباك علي الجبهة السياسية، و كما بينا آنفاً في هذا الفصل ، فقد عهد إلي التليفزيون بدور محوري في عملية التكامل والإحياء الثقافي ولكن مع انتشار مئات من القنوات الفضائية منذ أواسط التسعينيات ، تحولت الآمال بشأن دور بنَاء للتليفزيون في التنمية الثقافية الوطنية إلي إحباط شديد من تحول التليفزيون إلي مرتع للهيمنة الثقافية الدولية حيث إن البرامج التليفزيونية وخصوصاً التي تعرض علي القنوات التجارية قد زادت من حدة المناظرات الساخنة عبر المنطقة فيما يتعلق بدورها في الترويج للهيمنة الثقافية ومحو النظم الثقافية الوطنية ، وهناك عدد من الأعمال البحثية والنقاشات العامة والتوجهات السياسية أصبحت ترى أن الفضائيات تلعب دوراً تخريبياً في تنمية المجتمع خصوصاً بالنسبة للأطفال والمراهقين (عايش ٢٠٠١ ب) وقد اجتذب "تليفزيون الواقع"قدرا كبيرا من هذا الاهتمام ،ففي عام ٢٠٠٤م كانت البحرين علي موعد مع هذا النوع من البرامج عندما كان من المفترض إنتاج برنامج بنفس أسلوب "الأخ الأكبر" في البحرين ،ولكن لاعتقاد الناس بأن هذا البرنامج يروج لأمور

غير أخلاقية بين الشباب العربي خرج مئات البحرانيين إلي الشوارع احتجاجا علي إنتاجه ،قامت MBC بإنتاجه ثم لم تلبث أن قامت بإلغائه ، وكذلك أثارت برامج تليفزيونية أخرى مثل "سوبر ستار" و "ستار أكاديمي"اللذان ينتجهما تليفزيون المستقبل اللبناني وهيئة الإذاعة اللبنانية (LBC) ردود أفعال سلبية تحسباً لتأثيراتهما المحتملة علي الشباب (كعكي ٢٠٠٨).

لقي عرض البرامج الأجنبية علي القنوات الفضائية العربية انتقاداً في بحوث الإعلام والنقاشات العامة ، وعلي الرغم من أن القضية تعود إلي فترة السبعينيات و الثمانينيات – عندما كانت تلجأ التليفزيونات الحكومية لاستيراد برامج تليفزيونية أجنبية لملأ جدول البث التليفزيوني – إلا أن الاستخدام المفرط للبرامج الغربية في التسعينات وما بعدها خلق جوا من التذمر المتزايد وقد تعرضت بعض القنوات التليفزيونية العربية منذ عام ٢٠٠٧ للهجوم جراء عرض مسلسلات تركية مدبلجة قدمت للمشاهدين في المنطقة العربية أساليب حياة ليبرالية واتجاهات وجد الكثيرون أنها غير مقبولة في مجتمعاتهم المحافظة نسبيا كما قامت بعض الشبكات التليفزيونية العربية بإطلاق قنوات مخصصة كلية لبرامج الترفيه الغربية تقدم مواقف كوميدية ومسلسلات وأفلام هوليود علي مدار ٢٤ ساعة ،والأمثلة علي ذلك تشمل "قناة دبي١ "وقناتيMBC" "١" و"٤" وقناة أكشن وMBC الفارسية وتقدم إحدى هذه القنوات برامج مشهورة عالمياً مثل "أوبرا" ود/ فيل و الأطباء وهناك برامج ترفيهية متاحة مثل قنوات الاشتراكات التليفزيونية مثل "أوربت" و"شوتايم".

عموماً قدم التليفزيون العربي شيئا بناءً علي الجبهة الثقافية حيث إن التعديلات الحديثة علي البرامج جعلت سلسلة واسعة من البرامج ذات التوجه الثقافي متاحة للمشاهدين العرب في مجالات التراث والعلوم والتكنولوجيا والتسلية والدراما، ففي عام ٢٠٠٨ أطلقت من أبو ظبي قناة مخصصة للترويج للشعر باعتباره مكوناً أساسياً للثقافة العربية اللفظية لعرض أفضل المواهب الشعرية في الكتابة باللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية ، والمهمة الرئيسية في هذه القناة هي استكشاف المواهب الشعرية وتقوية ارتباط الجمهور بهذا الشكل من التعبير الثقافي العربي ، كما أطلقت قناة متفردة أخرى في أوائل عام ٢٠٠٩ من المملكة العربية السعودية للترويج للحصان

العربي باعتباره رمزاً ثميناً للتراث الثقافي العربي ، و تقدم تلك القناة التي تسمى "الخيل" فعاليات لرياضة الفروسية من المنطقة ومن جميع أنحاء العالم بالإضافة إلي برامج حوارية عن القيم الأخلاقية والاجتماعية المرتبطة بالجواد العربي ، وفي مجال العلوم والتكنولوجيا والتعليم يقدم التليفزيون العربي مسابقات في المعارف العامة تأخذ شكل السؤال والإجابة في أستوديو به جمهور ومن الأمثلة علي ذلك برنامج من سيربح المليون علي قناة MBC والذي يقدمه اللبناني جورج قرداحي كما بدأ في منتصف عام ٢٠٠٩ عرض برنامج يحاول الارتقاء بالإبداع العلمي بين الشباب العربي تحت عنوان " نجوم العلوم " ويعرض البرنامج لعلماء شباب عرب يجرون مشاريعهم البحثية تحت إشراف باقة من العلماء المتخصصين في مختلف مجالات العلوم التطبيقية والتكنولوجيا وبالنسبة للدراما برزت سوريا في السنوات القليلة الماضية كمركز أساسي لإنتاج المسلسلات التليفزيونية في المنطقة حيث تعرض مسلسلاتها علي العديد من القنوات خصوصاً خلال شهر الصوم "رمضان" ومن أبرز المسلسلات التليفزيونية السورية " باب الحارة" والتي تتناول الحياة السورية التقليدية في الثلاثينيات والأربعينيات.

ظل دور التليفزيون في التنمية الثقافية – مثل دوره في السياسة في العالم العربي- يخضع للتكهنات والملاحظات المتفرقة وليس لتحقيق علمي منظم ، وقد أجريت دراسات عديدة للتعرف علي أنماط البرامج المذاعة وآراء الجماهير في البرامج (عايش ٢٠٠٢) ، ولكن الطريقة التي يؤثر بها المحتوى التليفزيوني علي اتجاهات المشاهدين وقيمهم نحو قضايا بعينها تظل غير عملية ، حيث سعى معظم الباحثين لدراسة كيفية تناول الإعلانات التجارية والدراما والبرامج الحوارية الدينية والثقافية لقضايا النوع وحاجات الأطفال والعلاقات الاجتماعية والقيم الدينية ولكن عندما يتعلق الأمر بالكيفية التي تؤثر بها البرامج المذاعة علي قيم واتجاهات الجمهور لم تتوصل الدراسات إلي نتائج ذات أهمية ، والمشكلة هنا – بالطبع تتعلق بالأسلوب ، حيث ترتبط بتعدد المتغيرات التي تؤثر علي اتجاهات وقيم الجمهور بعيداً عن التليفزيون ، وتلعب المؤسسات التعليمية والاجتماعية دوراً رئيسياً في تحديد الكيفية التي يصوغ بها الجمهور العربي قضايا المرأة والطفل والقيم الدينية والعلاقات الاجتماعية ، ولا تبدو

الحوارات الثقافية المستمرة في التليفزيون بشأن حقوق المرأة والقضايا الدينية أنها تواكب الأساليب المحافظة المتجذرة في التفكير والتي تعمل علي استدامتها العمليات السياسية المعقدة والدينية المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية.

خاتمة

لقد مر البث التليفزيوني في المنطقة العربية بتغيرات جذرية في مجال المعلومات العالمية وثورة الاتصالات ولقد أثبت التليفزيون – التي تحول من أسواق التليفزيون الأرضي الوحيدة إلي الأسواق العالمية – أنه قوة اتصال ذات مصداقية في المجتمعات العربية ومع وجود أكثر من ٤٠٠ قناة متاحة أمام المشاهد العربي في المنطقة يبقى سؤال يطرح نفسه في أي تحقيق بشأن البث التليفزيوني وهو يتعلق بالكيفية التي أعيق بها هذا المصدر الإعلامي عن نشر الديمقراطية وإحياء الثقافة في منطقة طالما هيمنت عليها نظم سياسية وثقافية مستبدة، وفي حين لا يزال البعض يعتبر التليفزيون قوة هائلة في التنمية الوطنية يرى آخرون كثيرون أنه يشبه حصان طروادة للهيمنة الثقافية الغربية التي تهدد ثوابت القيم والتقاليد الثقافية والاجتماعية العربية والإسلامية ولا يزال البعض أيضاً يرى أن التليفزيون عامل إعاقة سياسي وأمني للمجتمعات العربية التي تسعى لتحقيق وحدة وطنية واستقرار في خضم اضطراب عالمي ، وطبقاً للنتائج البحثية يلاحظ أنه علي الرغم من أن التليفزيون قد رفع الوعي المدني بالقيم والممارسات الديمقراطية إلا أنه اعتراه نوع من التقصير في إحداث تغيرات ملموسة علي أرض الواقع وهذا يتفق وطبيعة سلطة الإعلام عندما يتعلق الأمر بتحولات الحياة الحقيقية ، فالاتصالات تلعب دوراً مساعداً فقط في عمليات التغير ، إذ ليس بمقدورها أن تقود عمليات التغير ، ومن الناحية الأخرى يعتبر دور التليفزيون في التنمية الثقافية جزءاً من العديد من النقاشات الناقدة فالبعض يتهمونه بأنه تحول إلي أداة للإمبريالية الثقافية الغربية كما هو ثابت في عروض الإعلام الغربي وهناك مخاوف من أن تتعرض الهوية الوطنية لخطر الزوال في مواجهة الثقافات الغربية التي وصلت لنا عبر التليفزيون ، وقد لا تكون مثل العبارات المطاطة مناسبة لأن المنطقة قد تمكنت لتوها من أن يكون لديها تليفزيون ثقافي بناء كما يتضح من برامج الأسرة والأطفال التي تسعى للتعليم والتربية علي أساس الثوابت الثقافية والاجتماعية الأصلية ،

وهناك احتمال لأن يتأثر التليفزيون من جراء التدهور الاقتصادي المتفاقم في المنطقة وذلك بسبب تضاؤل العائدات التي تأتي من الإعلانات ولا يمكن الصمود إلا للشبكات التليفزيونية ذات الموارد المالية القوية الدائمة مما يعني أن عدداً كبيراً من القنوات التليفزيونية المتاحة في أوائل القرن الحادي والعشرين قد تختفي في المستقبل.

ورب تحد هام يواجه الدور التعليمي الجاد للتليفزيون في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين يتعلق بكيفية تعليل تأثير المؤسسات الإذاعية علي التنمية السياسية والثقافية في المنطقة ، ويبدو أن الوضع الحالي يبين أن التليفزيون يتخذ اتجاها واحداً فيما يتعلق بهذين المجالين ، ففي حين لا يزال التليفزيون يعمل كناطق بإسم الحكومات إلا أنه يسهم في التربية الديمقراطية والوعي المدني في مجتمعات المنطقة بأسرها ، وعلي نفس المنوال ، في حين يعتبر بعض التليفزيون وسيلة للهيمنة الثقافية العالمية إلا أنه يقدم محتوى هاماً يشتمل علي قيم اجتماعية وأخلاقية ذات أهمية للتنمية الثقافية ، ومن المرجح أن يخلق هذا الدور المزدوج للتليفزيون حالة من الارتباك علي أساس أن أفراد المجتمع يتلقون رسائل سياسية وثقافية متعارضة ، وبالنسبة للحكومات والقوى السياسية فإن الرسائل المختلطة للتليفزيون العربي المعاصر قد تخلق آثاراً تعوق تنمية المنطقة.

لا تزال فرضياتنا عن دور التليفزيون في خلق تغيرات جذرية علي الجبهات السياسية والثقافية قصيرة النظر فقد فشلنا في استيعاب ديناميكيات العلاقات بين الإعلام والمجتمع ، وتخبرنا الأبحاث المتتابعة عن الاتصالات بأن الإعلام بما فيه التليفزيون يلعب دوراً مسانداً في إحداث التغير الاجتماعي وإذا لم يستخدم في موقف يتميز بالرغبة القوية للتغير فإن رسائل التغير تصبح عديمة الجدوى بغض النظر عن قوة الرسالة ويطرح هذا الاستنتاج قضية الحاجة إلي تحولات سياسية وثقافية ملموسة علي أرض الواقع وذلك لإحداث المزيد من إسهامات التليفزيون المؤثرة في عملية التغير وهذا يعني أن التليفزيون في العالم العربي ربما يبقى أسيراً للأعراف السياسية الفوقية المستبدة التي تحدد كيفية العلاقة بين الدولة والمجتمع.